

الفصل الثامن

مشكلة الجنس

كان من بين مجموعة الرسوم التي نشرها السير سيرل بيرت في فصل خاص تحت عنوان «رسم رجل» ، في كتاب له عن الاختبارات التربوية والعقلية ، رسم من صنع مراهق صغير . وكان ذلك الرسم يختلف عن سائر رسوم الصغار في أنه «يسرد قصة» ، إذ كان يمثل رجلاً في ملابس عادية ، متجهاً نحو منزل ، وفي يده باقة من الزهور . وجلّى أن القصة ذات طابع عاطفي ، فقد كان الرجل في طريقه إلى سيدة يحبها ، وقد حمل إليها هدية من الورد . فالقصة توحى باهتمام الفنان الصغير بالعلاقة التي تقوم بين الشبان والشابات ، كما تشير إلى إلمامه بآداب السلوك التقليدية التي تراعى في مثل تلك العلاقات .

وقد ظهرت في السنوات الأخيرة عدة مؤلفات في العلوم الإنسانية ، تبحث بوجه خاص في موضوع قيام العلاقات بين أفراد الجنسين عند الشعوب التي تختلف عنا في نوع الحضارة ، نذكر منها على سبيل المثال كتاب «الحياة الجنسية عند التوحشين»⁽¹⁾ الذي كتبه اطلبة الدراسات

(1) Malinowski's "Sexual Life of Savages".

الإنسانية والاجتماعية الأستاذ مالنوسكى أحد النابهين من علماء الإنسانيات. وقد لاقى الكتاب رواجاً كبيراً في أوساط القراء العاديين . كما أن دراسات الدكتورة مرجريت ميد^(١) في طرق معالجة مشكلة اختلاط الجنسين في المجتمعات البدائية في ساموا وغينيا الجديدة ، أثارت اهتماماً ملحوظاً عند الكثيرين من غير علماء الإنسانيات أو علوم الاجتماع والتربية ، وكان نشر هذه الدراسات في طبعات زهيدة الثمن سبباً في انتشارها بين أفراد الشعب . فالرغبة في معرفة « طرق أخرى » لمعالجة المواقف المختلفة ترجع من ناحية إلى مجرد حب الاستطلاع ، ولكن مما لا ريب فيه أنها تعبر أيضاً عن عدم الارتياح إلى الطرق السائدة .

وقد يشير بعض الراغبين في الإصلاح بنبذ النظم القائمة ، واقتباس النظم المتبعة في بلاد أخرى بدلا منها . ولكن الناقد الحصيف يتساءل قبل كل شيء عن أسباب عدم الرضا عن النظم القائمة ، أهى راجعة إلى نقص فيها ؟ أم إلى طريقة استخدامها ؟ أم إلى الأمرين معا ؟ وأغلب الظن أنه سيميل إلى الأخذ بالرأى الأخير ، لأنه يعلم أن هذه النظم قد نمت وتطورت أثناء تاريخنا ، وكثيراً ما كنا نلازم بينها من وقت لآخر وبين ما يطرأ على بناء المجتمع من تغير ، كما أنها لا زالت في طور التغير والتطور . ولذلك يرى أن قيمة دراسة نظم حياة الشعوب الأخرى تتوقف على أنها تكشف لنا بوضوح عن طبيعة المشكلة التي نحاول أن نجد لها حلا .

(١) Dr. Margaret Mead.

ونظام الزواج أساسه إقامة علاقة ثابتة بين رجل وامرأة ، تمهد لها السبل حياة مشتركة ، تفضى في معظم الأحيان إلى أنجاب الأطفال ، وتكوين الأسرة وإعالتها . ومن الواضح أن مثل هذه الفكرة عن العلاقة بين الرجل والمرأة ، وهى الفكرة الملحوظة فى شتى أنواع قوانين الزواج وتقاليده تتجاوز مجرد إشباع الرغبات الجنسية . فعدد الأفراد الذين يستطيع الشخص الاتصال بهم لإشباع هذه الرغبات كبير حقاً ، ولكن عدد الذين يمكن أن يشاركوه حياته قليل . كما أن عدد الذين فى مقدوره أن يتعاون معهم على القيام بعبء تكوين الأسرة المعقد أقل من ذلك . وقد ينادى غلاة المثاليين بأن كل شخص فى العالم أن يجد من بين الناس جميعاً سوى شخص واحد فقط يصلح لأن يكون له رفيقاً كاملاً تتوافر فيه جميع المزايا التى يتطلبها . ولا يسمح المجال لأن نتعرض لمناقشة هذا رأى ، ولكن يكفى أن نقول أن من الواضح أن نمو الكائن الحى كفرد فى جماعة يتوقف على طائفة من الحاجات والميول ، تحدد إلى درجة كبيرة عدد أفراد الجنس الآخر الذين يستطيع اختيارهم رفقاء لحياته ، فيشركهم فيها إشراكاً أبدياً يشوبه الانسجام والسعادة .

ويتفق معظم الناس معنا على صحة هذا رأى لا فيما يتعلق بأنفسهم فحسب ، بل وفيما يتعلق بأكثر الشعوب الأخرى أيضاً . وبعض الشعوب تشجع من ينحجون من شبابها فى اجتياز اختبارات التدشين التى تعقدها لهم على إقامة علائق مؤقتة بينهم وبين أفراد الجنس الآخر ، وهى علائق

لا يترتب عليها أى نوع من الالتزامات . كما يُسمح لها بأقصى درجات الحرية الجنسية ، بشرط اتباع تعليمات معينة يقصد بها الحيلولة دون إفشاء هذه الاتصالات الجنسية الطليقة إلى النسل .

ولكن هذا الإسراف ليس مما تتقبله بعض الشعوب الراقية لمناقته لقواعد الأخلاق والدين . ولكنه مع ذلك يعتبر محاولة لمعالجة المشكلة الناجمة عن حاجة الشباب إلى اختيار رفقاء الحياة . وإذا ما انصرفنا عن إحدى الطرق لأسباب تتعلق بالدين والأخلاق ، فلا بد لنا من البحث عن طريقة أخرى .

من المعروف أن النزعات الجنسية عند الشباب الناضج تكون من القوة والعمامة بدرجة تعمى أبصارهم ، ذكوراً كانوا أم إناثاً ، عن كل شئ ، سوى أن الشخص الذى وقع عليه اختيارهم يشرفيهم الرغبة الجنسية « فالحب » بهذا المعنى المحدود حب أعشى ، لا يمتد بصره إلى أكثر من إشباع تلك الرغبة ، وإذا ما تحقق الإشباع الجنسى مرة واحدة تفتحت العيون ، وبدأ الشاب ، أو الشابة ، يدرك أن الرفيق الذى كان قد بهره من قبل لا يصلح لأكثر من مجرد المتعة الجنسية . وهكذا يرى كيف أن استسلامه لفورة الحوافز الجنسية جعله سريعاً إلى التصريح بحبه ومقاصده ، والإيمان بها ، بسبب ما أنزلته الرغبة على بصيرته من غشاوة . ولكن الأوهام لا تلبث أن تتبدد أمام الحقائق الصارمة ، فيصبح راغباً فى التحلل من قيود وعده . ولقد كان تكرار حدوث هذا الموقف ، وإدراك ما يترتب

عليه من مشكلات اجتماعية ، سبباً في ظهور نظام الطلاق ، وتيسير فصحى
عمرى الزوجية .

ولكن الطلاق أيضاً ليس حلاً للمشكلة ، بل إنه لا يزيد على كونه
اعترافاً بأخطاء تكرر وقوعها ، ونظاماً وضع نحو هذه الأخطاء تهيداً لبدء
المحاولة نفسها من جديد . ومثلنا فى هذا مثل الذى يحقق فى تعليم تلاميذه
الرسم ، أو الذى لا يبذل أية محاولة لتعليمهم إياه ، ولكنه يزودهم بكمية
من المماهى الجيدة ، فقد نجم عن سهولة الطلاق أن تعددت حالاته ،
فتفاقت المشكلة ، لأن الطلاق يحرم الأطفال من الأمن الذى هم فى مسيس
الحاجة إليه ، والذى لا يتاح لهم إلا فى محيط الأسرة السعيدة المتأسكة ، كما
أنه يشتت إخالصهم ويوزعه مما يؤدى إلى القلق النفسى ، وما يصبه من
شتى أنواع المتاعب ، والحرمان من فرص النمو السوى . فكما تقضى سهولة
تصحيح الأخطاء فى العلوم المختلفة إلى الإهمال ، فإن سهولة الطلاق تؤدى
بالمثل إلى الاعتقاد بأن اختيار رفيق الحياة ليس بالأمر الهام .

وعندما أدرك الناس أن خبرة الناشئين قاصرة عن إرشادهم إلى تقدير
شتى العوامل التى تجعل اختيار الزوج موفقاً ، ظهرت النزعة عند بعض
طبقات المجتمع ، وبعض البلاد ، إلى رفع عبء الاختيار عنهم ، ووضع
على كاهل الآباء ، أو كبار أفراد الأسرة . وعندئذ أصبح الاختيار أمراً
عائلياً لا شخصياً ، إذ يأخذ ممثلو الأسرتين فى وزن الظروف الاقتصادية
والاجتماعية للعروسين ، ومناقشة ما تستطيع كل أسرة منهما المساهمة به

من مال لإتمام الزواج ، وغير ذلك من الأمور ذات الأهمية النسبية ، كما تستفسر كل منهما عن الصفات الشخصية من تمثله الأسرة الأخرى . كل تلك الأمور تكون في العادة موضع عناية المهتمين بالأمر وتدقيقهم ، لأنها ستكون فيما بعد ذات تأثير على الأسرتين . أما الذي لا يتعرضون له ، ولا يستطيعون التحدث فيه ، فهو مدى جاذبية كل من المزمع عقد زواجهما في نظر الآخر من الناحية الجنسية ، وهو الأمر الذي ينصرف إليه تفكيرهم دوما إذا ما خلوا إلى أنفسهم .

وينتج عن ذلك أننا نجد في كثير من الجهات التي لا يقوم فيها الفرد بنفسه باختيار شريك حياته ، أن يسلم الناس بأن الشبان ، دون الشابات ، يستطيعون ممارسة الاتصالات الجنسية الوقتية ليشتبعوا رغباتهم الجنسية . وهكذا تنشطر مجموعة العوامل التي تؤثر في إتمام الزواج إلى شطرين ، أحدهما يتعلق بالزواج الدائم الذي يعترف به المجتمع ، والآخر يتعلق بالاتصالات الجنسية غير الشرعية . وقبول هذا الوضع يصل إلى مرتبة الاعتراف بأن الإجراءات المتبعة ليست حلا ناجعا للمشكلة .

وقد كانت الحرية المطلقة في اختيار الفرد بنفسه لزوجه مبدأ سائداً بين معظم طبقات الشعب البريطاني في بادئ الأمر . فمجرد أن يتقابل اثنان من الجنسين ، ويشعر كل منهما بميل نحو الآخر ، فإنهما يدبران مواعيد أخرى للقاء ، ثم يدعو كل منهما الآخر لمقابلة باقي أفراد أسرته . وتستمر الزيارات والمقابلات ما لم تكن هناك أسباب قوية تدعو الآباء إلى

الاعتراض عليها . ويظل الحال على هذا المنوال حتى يتفقا في النهاية على الزواج ، وغالباً ما يكون ذلك مشروطاً بموافقة أسرة الفتاة على الأقل . وعندئذ يقدم الشاب إلى فتاته خاتماً كرمز على عقد الاتفاق الذي يطلق عليه اسم « الخطبة » . ويعتبر فسخ الخطبة اختلالاً باتفاق يعطى الفتاة الحق في رفع الأمر إلى القضاء ، والمطالبة بتعويض مالى . كذلك يحدث في بعض الأحيان أن تحث الخطيبة بوعدها بالزواج ، وعندئذ يستطيع الخطيب مطالبتها بتعويض مالى أمام القضاء . ومن المسلم به أن يخلص الخطيبان كل منهما للآخر إبان فترة الخطبة ، وأن تنتهى الخطبة بالزواج ، أو باتفاق مشترك على فسخها .

وتتيح فرصة التعارف التى تسبق الخطبة ، وكذلك فترة الخطبة ذاتها ، فرصة طيبة لأن يعرف كل من الخطيبين زميله معرفة تامة قبل الإقدام على الزواج منه بصفة نهائية ، إذ يتصل كل منهما بأسرة الآخر ، ويقابل أصدقاءه ، ويمضى معه أيام العطلات ، ويتعرف اتجاهاته وميوله وأذواقه ، وكذلك مواطن ضعفه وتقائصه . ويعنى القوم فى بريطانيا بالألا يحدث اتصال جنسى بين الخطيبين قبل الزواج ، وبضرورة ضبط النفس فى حالات الإغراء . ولهذا فإن الفترة الطويلة التى تنقضى بين اللقاء الأول والزواج تمهد السبيل لأن يختبر كل منهما الآخر ، ويعرف كل شئ عنه ، وبهذا يعلمان ما إذا كانت الجاذبية الجنسية متبادلة بينهما ، وما إذا كان لدهما من الميول المشتركة ما يكتفى لاستمرار روح الصداقة والاحترام

بينهما ، ولنزول كل منهما على رأى الآخر ورغباته ، ولبقاء التعاون والمحبة متبادلة بينهما ، وللاهتمام بنفس الأشخاص وأنواع النشاط . ولهذا يرجح جداً أن تؤدي طريقة الاختيار هذه إلى اتحاد ناجح دائم ، لا اتحاد عابر ينجى ، ولابد الميل الجنسي وحده ، أو يقوم على اختيار كبار أعضاء الأسرة ، أو تحدد بمجموعة من القواعد والقوانين كما هو الحال فى بعض المجتمعات والحلقة الأولى فى هذا النظام أضعف حلقات السلسلة جميعاً . فقد تكلمنا عن التقاء شخصين أحس كل منهما نحو الآخر ميلاً قوياً ، كما أثار اهتمامه به بدرجة كانت كافية لتنمية أواصر التعارف بينهما . ولكن مما لا شك فيه أنه لو أتيح مثل هذين الشخصين الاتصال بعدد كبير من الناس ، فمن المحتمل جداً أن يلتقيا بأشخاص أشد جاذبية ممن يكون قد استهوئهما ، وأكثر صلاحية للزواج الناجح . ويولع كتاب القصص العاطفية بموضوع السيدة التى ظلت تحيا حياة زوجية هائلة عدة سنوات ، حتى ظهر فى أفق حياتها رجل صادف من نفسها هوى مكينا ، لدرجة أنها غدت على استعداد لهجر زوجها وبينها ، وتناسى أيامها السعيدة الماضية حتى تربط مصيرها بهذا الحبيب الدخيل . وإنها لتأسف كل الأسف على أنها لم تلتق به من قبل . ولكن مثل هذه المواقف ليست مألوفة بالدرجة التى يعتقدونها الروائيون ، وإن كانت تحدث بالفعل فى بعض الأحيان . وقليل من التفكير فى هذا الأمر يجعلنا نسأل أنفسنا عما إذا كانت الفرص التى تتاح لاختلاط المراهقين بالمراهقات من النوع السليم الذى

يكفى لحسن التلاقى والتعارف ، أم أنها من النوع السيء المحدود .
وبحث هذا الأمر يتطلب منا العناية بموضوع لم نتعرض له حتى
الآن ، وهو موضوع نوع الاتجاهات التى تظهر عند الفتية والفتيات فى
الأوقات التى يلتقون فيها بعضهم ببعض .

ولقد يبدو أن اهتمام صغار الأطفال بعضهم ببعض ليس من النوع
العاطفى ، وحتى إذا لاحظوا الفروق الجسمية بين الجنسين ، فإنهم لا يفكرون
فى ربطها بفروق وظيفية ، بل يروق فيها مظاهر لنقص فى التكوين ،
مقصود على الإناث . وهذه النظرة ليست وقفاً على البنين وحدهم ، بل
تشمل البنات أيضاً . ويتفرق الصبية أحياناً بالبنات فى معاملتهن بسبب
ما يعتقدونه فيهن من نقص ، كما أنهم فى أحيان أخرى يتخذون من هذا
النقص مادة لمشاغبتهن وامتهانهن . ولا يعنى الصبية بصفة عامة باللعب مع
البنات ما داموا يجدون رفاقاً من جنسهم يشاطرونهم لعبهم . كما أنهم كثيراً
ما يؤكدون عجز البنات عن أداء أعمال معينة . وتظهر فى ألعاب الصغار
نزعة قوية إلى قسمتها إلى نوعين متمايزين هما ألعاب الذكور ، وألعاب
الإناث وكذلك الحال فى صنوف اللعب . وتتميز اتجاهات البنين والبنات ،
كل منهما إزاء الآخر ، بصبغة لينة مشوبة بالحسد والازدراء ، وهذا اللين
يرجع إلى عدة عوامل .

وأفلام السينما التى يراها الأطفال تكون فى العادة من النوع
الموضوع للكبار ، إذ تدور حول الحب والعناق والقبلات . ولذلك قد

يظن أنهم لا يكثرثون بها كثيراً . كما أن الكثيرين من الكبار لا يهتمون بمشاهدة الأطفال لها ، أو عدم رؤيتهم إياها ، وذلك لأنهم يعتقدون أن أولئك الأطفال لم يبلغوا بعد السن التي تتيح لهم فهمها . ولكن صحة هذا الاعتقاد تتوقف على ما يقصدونه بلفظ « الفهم » .

وليس ثمة ريب في أن الأطفال تتأبهم من حين لأخر نزعات قوية من الحب ، كما يحدث مثلاً عندما يبدى آباؤهم نحوهم عطفاً مفاجئاً ، فيندفعون من تلقاء أنفسهم إلى تقبيل الأب أو الأم ، أو عنق طفل آخر . ولكن الدافع إلى هذا السلوك مختلف كل الاختلاف عن الدافع الذي يجعل الرجل والمرأة يتبادلان القبل الطويلة الطويلة الحارة على الشاشة البيضاء ، أو يمثلان شتى ألوان السلوك الذي ينبىء عن الحب . والطفل لا يستطيع الإجابة عن السؤال الذي يشرق في ذهنه عن أسباب ذلك السلوك . ولعل الكثيرين من قارئى هذه السطور كثيراً ما سمعوا فى بعض دور السينما طفلاً يسأل أمه فى صوت رفيع حاد : « لماذا يقبل هذا الرجل تلك السيدة يا أمى ؟ » .

ويتحدث عارضو الأفلام ، الذين لا يعنيههم أمر البحث عن الدلائل المؤيدة للنظريات النفسية ، عن عدم اكتراث صغار الأطفال بالمشاهد الغرامية ، وعما يبدو على بعضهم من مظاهر السامة ونفاد الصبر ، أو الكره الحقيقى (وقد استخدم لفظ « البغض » أحد المديرين الأذكياء المدققين فى الملاحظة ، وكان يدير إحدى دور سينما الأطفال الناجحة فى

لندن) . أما المراهقون والكبار فيهم يولعون بالأفلام الغرامية ونعاً شديداً كما يدل على ذلك الريح الجسم الذي يخفيه أصحابها منها . ولذلك يبدو أننا لا نعدو الصواب إذا قلنا إن « فهم » المواقف العاطفية والسلوك الجنسي لا يكون إلا في مرحلة المراهقة وما بعدها .

وقد قام بدراسة هذا الموضوع بصورة أخرى نفر من علماء البحث الذين قاموا بسلسلة من الدراسات كان الغرض منها استقصاء استجابات الأطفال لبعض الأفلام التي أخرجت منذ عدة سنوات في الولايات المتحدة هذا الغرض . ولم يعتمد أولئك العلماء على ما ذكره الأطفال أنفسهم عن مقدار ميلهم لمشاهدة المواقف الغرامية ، أو مدى فهمهم لها ، بل استخدموا آلات تسجيل خاصة توضع حول أرساغ الأطفال . فكان ما سجلته تلك الأجهزة دليلاً مباشراً على أن عرض أمثال تلك المشاهد يثير انفعال الأطفال . فالطفل يهتم بها ويستجيب لها ككائن حي ، على الرغم من أن مرحلة النمو العقلي التي بلغها لم تكن لتتيح له فهمها . ويمكن التعبير عن ذلك في لغة التحليل النفسي بقولنا إن فهم الموقف يكون حبيساً في اللاشعور بسبب كفته وطرده من الشعور . وهذا يتفق تمام الاتفاق مع نتائج بحوث التحليل النفسي ، إذ تشير هذه النتائج إلى أن المناظر الجنسية ، والمواقف الغرامية ، تكون ذات مدلول عميق بالنسبة للعقل اللاشعوري عند الطفل . بل وعند الوليد أيضاً ، على الرغم من أنها تبدو غير ذات معنى بالنسبة لعقله الشعوري . وهذا يؤثر تأثيراً بالغاً على ضروب السلوك التالية ، حتى لو لم

تسترجع هذه المشاهد بشكل شعورى .

ونستطيع فى ضوء هذه الاكتشافات أن نفهم ما يعنيه عارض الفلم بقوله إن الأطفال الذين يرتادون داره — وهم عادة ممن بلغوا العاشرة أو الحادية عشرة أو الثانية عشرة ، من عمرهم على وجه الخصوص — « يبعضون » المشاهد الغرامية التى تظهر فى الأفلام . فالبعض نتيجة طبيعة للإخفاق الجزئى فى الكبت الذى يحى الأطفال فى المراحل المبكرة من طفيان النزعات الجنسية التى لم يستعدوا بعد للاستجابة لها بشكل ملائم . أما فى المراحل التالية فإن هذه الاستجابات الدفاعية تصبح غير ضرورية ، إذ يقل الكبت أو يختفى ، وعندئذ يستمتع الناشئ بتلك المشاهد . ولكن الخبرات المتصلة بالأفلام التى أشرنا إليها تزودنا بعدد من الأدلة المنبئة عن حدوث شىء حقيقى إبان النمو ، هو الخوف الجنسى ... وهو خوف ينتقل من النزعة الجنسية ذاتها إلى موضوعها ، أو بعبارة أخرى أننا نجد أن الأولاد والنبات يخشى بعضهم بعضاً ، وكلما ازدادت الجاذبية قوى هذا الخوف الجنسى .

وتحاول الكائنات البشرية عندما تخشى شيئاً أن تحتفظ باحترامها لنفسها عن طريق ابتداع أسباب معقولة لهذا الخوف . وهذا ما يطلق عليه اسم « التبرير »^(١) . وبهذه الطريقة ذاعت الخرافة القائلة بأن المرأة مخلوق غامض ، تكثف حياته الأسرار التى تدق على فهم الرجل ، كما ذاعت بين النساء خرافة شبيهة بهذه عن الرجال . ومن ثم ساد الاعتقاد

(١) Rationalisation.

بأن في الإمكان إقامة علاقات سوية متزنة بين الرجال والنساء ، أو بين المراهقين والمراهقات ، إذا ما زدونا كل فريق منهما بقسط وافر من الحقائق عن الفريق الآخر . وهذا هو المبدأ الذي يقوم عليه التعليم الجنسي . ولكن هذا المبدأ يتضمن مقالة منطقية ، لأننا إنما نعالج تمييز الخوف لا سببه الحقيقي . فالتعليم الجنسي قد يقضى حقيقة على شعور الخوف الذي يحس به أفراد أحد الجنسين نحو أفراد الجنس الآخر ، والذي يتخذ صوراً مختلفة مثل الحياء الشديد ، والإسراف في حب الظهور ، هذا إذا كان « الغرض » الذي يحيط بأفراد الجنس الآخر هو السبب الحقيقي . ولكن الحقيقة أن بواعث الخوف تختلف عن ذلك ، لأن الخوف إنما هو نتيجة لمحاولة التعبير عن المشاعر الجنسية بقصد حماية الذات .

وينبغي ألا يؤخذ رأينا هذا على أنه اعتراض على التربية الجنسية ، فإن العكس هو الصحيح ، ولكننا مع ذلك أردنا توجيه الأنظار إلى أن قيمة التربية الجنسية ليست من النوع الذي يظنه الكثيرون .

ولعل المثال التالي يوضح ما نرمي إليه : حدث إبان الحرب الأخيرة أن نظمت طائفة من المحاضرات عن الوقاية من القنابل لإقامتها على فرق الدفاع المدني والجنود ، بسطت لهم فيها أنواعها ، والمواد التي تعبأ بها وطرق اشتعالها وتفاعلها . واستعين في توضيح ذلك بعرض صور ورسوم للقنابل المختلفة ، وكذلك بعض القنابل الحقيقية ، كما قام الطلاب بزيارة المناطق التي أصيبت أثناء الغارات الجوية لدراسة شتى أنواع الآثار المترتبة على

انفجار مختلف أنواع القنابل

بيد أن كل ذلك لم يخفف من خطر القنابل ، ولم يزود الذين تعلموه بأى قدر من الحصانة ضدها . كما كان من المستحيل أن يقوم مقام الخبرة الحقيقية بهذا الضرب من الخطر . ولكنه مع ذلك كان ذا فائدة قصوى ، إذ أنه درب طائفة من الناس على فهم ما يدور حولهم ، ومن ثم بات في وسعهم أن يلائموا بين سلوكهم وبين سرعة الظروف التى تمر بهم . وهكذا تعلموا فى النهاية ما كان عليهم أن يقوموا به أثناء الغارات الجوية ، الأمر الذى يجمله غيرهم ممن لم يتلقوا التدريب الذى حصلوا عليه . فكان لسلوك المتدربين علاقة مباشرة بأخطار الموقف الحقيقية ، أما غير المدربين فلم تكن لهم بهذا الموقف علاقة حقيقية ، ولذلك لم يكن فى وسعهم أن يفهموه .

ويمكننا أن نتوقع شيئاً شبيهاً بهذا من وراء التعليم الجنسى الصحيح فالمرأه الذى يتلقى بعض المعلومات عن أعضائه الجنسية ووظائفها لن يرى فى الفروق الجنسية مبرراً لتفوق الرجال على النساء . بيد أننا لو ذهبنا إلى أبعد من ذلك ، وتوقعنا اختفاء الخوف الجنسى بسبب قضاء التعليم الجنسى على « العموض » الذى أشرنا إليه ، فلا ريب أننا نتعرض للخطأ .

وقد سبقت الإشارة فى فصل سابق إلى أمر ما فتىء العلماء يؤكده عن نمو الأطفال ، وهو أن النمو السوى لصغار الأطفال رهن بما يحصلون عليه من الحب والأمن . ولكننا قليلا ما نغنى بتأكيد أن الكائن

البشرى فى حاجة إلى الحب والأمن لا فى مرحلة طفولته المبكرة وحدها ، بل وفى جميع مراحل حياته أيضا ، إذ بدونهما ، أى عندما يشعر الرجل ، أو المرأة ، بأنه قد أصبح غير محبوب ، أو أن حياته قد أضرقت من الشعور بالأمن ، بدا الصراع الداخلى يتراءى فى شتى صور القلق ، وهذا أمر بالغ الأهمية فى المشاكل التى تعترض المراهق .

فسبب مخاوف المراهق ، كما ذكرنا ، مرتبط بالغيرة الجنسية التى يحقق فى كبت نزعاتها . وكأن ما يحشاه فى الحقيقة هو تلك النزعات الجنسية وإن كان يعتقد خطأ أن مبعث خوفه هو الشئ ، أو الشخص الذى أتجه إليه انتباهه واهتمامه . ولهذا يخشى الفتيات . والسبيل الوحيد لتخليص نفسه من مخاوفه هو مبادلة فتاته الحب ، واستمتاعه بالخبرة التى تتيحها له ثقته بها ، بحيث يحس الأمن فى وجودها إلى جانبه .

ومعنى هذا أن إعداد الجماعات البشرية المتحضرة « إعداداً جنسياً

يكون أشد تعقيداً من مجرد « التعليم الجنسى » .

وتسير بعض البلاد على نظام التعليم المختلط فى جميع المراحل من مدارس الحضانة إلى الجامعات ، فى حين ينظم التعليم فى بعض البلاد على أساس الفصل الدائم بين الجنسين منذ وقت مبكر . كما أن بلاداً أخرى تمزج بين النظامين ، إذ تفصل بين الجنسين فى مرحلة الدراسة الابتدائية ، ثم تجمع بينهما فى المرحلة الثانوية ، أو العكس ، ثم يكون التعليم مختلطاً فى الجامعات . وكثيراً ما يكون الفصل أو الجمع أمراً متجلاً ، وليس نتيجة

لاعتناق مذهب تربوي معين .

ويتخذ الاعتراض على التعليم المختلط ، وخاصة في مرحلة المراهقة ، صوراً شتى . فيقال من الناحية التربوية أن الذكور يحتاجون إلى مناهج تختلف عن المناهج التي تلائم الإناث ، كما أنهم يختلفون ذهنياً في درجة النمو والميول العامة . أما المبررات الأخرى التي يستند إليها مثل هذا الاعتراض فتتلخص في القول بأن اختلاط الجنسين يفضي إلى إضعاف اهتمام كل منهما بالآخر ، ويقضي على تبادل الاحترام بينهما بسبب غياب عنصر الغموض ، ويترتب على ذلك أن يلعب البنين والبنات معا ، ويتزاملون ، ويتصادقون ، ولكنهم لن يحسوا نحو بعضهم لبعض بأى ميل عاطفي . وقد يصر بعض الناس أيضاً على أن التعليم المختلط لا يعوق نمو هذا الحب ، بل يعمل دوماً على تقويته ، ومن ثم فهو عامل معطل لنمو الناشئين . ولهذا توقع الكثيرون في الحرب الأخيرة أن يفضي اختلاط النساء بالرجال في الأعمال الحربية ، ومقاومة الغارات الجوية ، إلى أخطار أخلاقية واجتماعية . ولكن تلك النبوءات لم تتحقق ، فكثيراً ما اختلط الرجال بالنساء اختلاطاً ناجحاً في العمل ، وقاعات الدرس ، والمطالعة والمحاضرات ، وشتى نواحي الحياة ، حيث تتوافر الفرص للتنافس والتعاون . وقد أجمع الرأي على أن كثيراً من البطاريات المضادة للطائرات قد نجحت في عملها أكثر من غيرها بسبب إشراف فريق مختلط من الرجال والنساء على إدارتها ، وإن كان جانب كبير من هذا النجاح راجعاً إلى كفاية

الضباط المسئولين عن تنظيم العمليات في تلك الوحدات .
وهذا يعنيه يصدق على المدارس التي يكون التعليم فيها مختلطاً ، إذ
يتوقف النجاح فيها على ما تيسره من فرص للتعاون والمنافسة بين البنين
والبنات . ولا بد في حالات اختلاط الذكور بالإناث في المدرسة أن يكون
هناك غرض مشترك لهذا الاختلاط . ففي حبرات الدراسة يكون هذا
الغرض هو التعليم ، أما خارجها فقد يكون إخراج إحدى المسرحيات ،
أو الرقص ، أو الألعاب الرياضية ، أو الاشتراك في نشاط إحدى الجمعيات
المدرسية . ففي كل هذه الأمور جميعاً يلتقي أفراد الجنسين بقصد الزمالة ، فلا
يفسك التلاميذ في التلميذات على أنهن إناث ، ولا تفكر التلميذات في
في التلاميذ على أنهم ذكور ، بل تكون اتجاهات الجميع وسلوكهم في
علاقات بعضهم ببعض محدودة قبل كل شيء . بأوجه النشاط المشترك الذي
يؤدونه . فالحفل الراقص مثلاً ، الذي ينظم تنظيماً سليماً ، لا يعلم الفتيان كيف
يختارون رفيقاتهم فحسب ، بل يعلمهم أيضاً الطرق المثلى لتقديم أنفسهم
إليهن عند طلب مراقبتهم ، كما يعلم الفتيات كيفية قبول طلب المراقبة
أو رفضه بشكل مهذب . كذلك يعلم الفريقين ضرورة إتقان الرقص كي
تكون رفيقتهم ممتعة مقبولة . وهكذا يحس الجميع بوجود طائفة من قواعد
العرف الاجتماعي ، يستطيعون بذكائهم فهم نفعها والحكمة منها . فإذا كان
المشرفون على تنظيم مثل هذه المناسبات ينظرون عليها لا على أنها مجرد
وسائل للتسلية ، بل على أنها فرص تساعد على نمو المراهق ، وتدريب الفتيان

والفتيات على الاختلاط السليم ، وفهم كل منهم للآخر ، كما تهذب من أساليب معاملتهم ، وتنقل سلوكهم ، وتقضى على ما قد يعتريهم من الخجل وسيطرة الأفكار الجنسية ، فما لا ريب فيه أن هذه المناسبات تصبح ذات فائدة جلية الشأن في تربية المراهقين .

وفي مثل هذا النوع من التربية يمكن لنظار المدارس أن يستعينوا بجهود كبار المراهقين الذين تلقوا قدراً منها ، وفهموا أهدافها ومراميها ، إذ مما لا شك في فائدته أن يعهد إلى هؤلاء الكبار أمر الإشراف على نواحي النشاط المختلفة الخارجة عن المنهج .

وإن من مزايا إطالة فترة التعليم في بريطانيا في الوقت الحاضر ، وإنشاء الأنواع المختلفة من المدارس الثانوية ، إتاحة الفرصة لعدد كبير من المراهقين للانضمام إلى الجمعيات النافعة المختلفة . بينما كانت مغادرة المدرسة في سن مبكرة فيما مضى ، واقتحام مضمار الحياة الصناعية والتجارية ، سبباً في جعل الاستفادة من وقت الفراغ أمراً تتحكم فيه المصادفة إلى حد كبير . إذ كان في مقدور نفر من المراهقين الالتحاق بالأندية والجمعيات ، والاستفادة منها . في حين أنه لم يكن وسع الآخرين ، وهم الغالبية ، أن يستغلوا فراغهم في غير ارتياد المسارح ، ودور السينما ، وصلات الموسيقى والغناء ، أو التردد على ميادين سباق الخيل أو الكلاب أو السيارات ، أو الذهاب إلى المراقص للرقص . ولم تكن تلك الأماكن بالبيئات الصالحة للالتقاء بأفراد من الجنس الآخر ، والاشتراك معهم في أعمال مفيدة ، وتوثيق عرى التعارف بينهم .

عن طريق التعاون في العمل النافع ، أو اللعب المجدى ، أو عن طريق مشاركتهم في شتى الاهتمامات الجسمية والعقلية والجمالية .

ومن الضروري أن يفهم حديثنا عن اتصال البنين والبنات بعضهم ببعض ، وتعارفهم ، على أنه يتضمن علاقة عميقة تتجاوز حدود مجرد الإشباع الجنسية . فقد يتم إشباع الغريزة الجنسية باتصالات عابرة تافهة تختلف كل الاختلاف عن ذلك الاتحاد القوى الدائم الذى تقوم عليه المجتمعات وحياة الأسرة . إن الغريزة الجنسية وإشباعها عنصر هام فى هذه الرابطة ، وفى قيام الأسرة ولكنه ليس العنصر الضرورى الوحيد . بل هناك إلى جانبه ما للرجال والنساء من قدرات بوصفهم كائنات بشرية ، ومن حاجة إلى الحب والأمن ، وإلى تأكيد الذات بشكل معتدل سليم ، وإلى اعتماد بعضهم على بعض . وإن عاطفة كهذه لا تظهر دفعة واحدة ، بل تنمو على مر الأيام نحواً يزداد تماسكاً وقوة أثناء حياة الفرد جميعها . فاتجاه الفتى إزاء الفتاة ، وموقف الفتاة حيال الفتى ، يبدأ مع الخبرات الأولى المتصلة بالأم والأب والأخوة والأخوات ، وينمو فى الصبا عن طريق الخبرات فى المدرسة والملاعب ، ثم يتطلب نموه أثناء سنوات المراهقة تكامل النزعات الجنسية التى قد تهدد استقراره ، وتعترض سيره ، إذا لم يحدد التعليم والتدريب من عنقوانها . وتلك هى المشكلة التى كنا بصدد مناقشتها فى هذا الفصل ، وهى مشكلة جعل النزعات الجنسية العارمة تتكامل تكاملاً سليماً لتصبح تركيباً جنسياً نامياً يجعل النمو النهائى للفرد وحدة متماسكة من المشاعر والرغبات تتخذ من الارتباط الدائم هدفها النهائى .

الفهرس

صفحة	
٣	الفصل الأول : ما المراهقة ؟
٢١	الفصل الثاني : الجنس والمراهقة
٤٤	الفصل الثالث : أسطورة البطل
٧١	الفصل الرابع : الصراع والسلوك
٩٩	الفصل الخامس : التعلم للكسب .
١٢٨	الفصل السادس : النمو في محيط الأسرة .
١٤٤	الفصل السابع : التعبير الإنشائي .
١٦٧	الفصل الثامن : مشكلة الجنس .

قائمة مطبوعات اللجنة

- ١ — يسأونك ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ٢٥
- ٢ — أثر المشرق في الغرب ... : الدكتور فؤاد حسانين ... ١٥
- ٣ — قصة الكهرباء واللاسلكي : الأستاذ محمد عاطف البرقوقي ٢٥
- ٤ — مشكلاتنا الاجتماعية ... : الأستاذ محمد عطيه الإبراشي ٢٠
- ٥ — الحبشة ... : « حسن محمد جوهر ٢٠
- ٦ — الغزل عند العرب ... : « حسان أبو رحاب ٢٥
- ٧ — عائشة أم المؤمنين ... : الأئمة زاهية مصطفى قدورة ٢٥
- ٨ — الفلسفة القرآنية ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ٣٠
- ٩ — أحاديث الصباح ... :
- الشيخين محمود شلتوت ومحمد المدني ١٥
- ١٠ — أبطال الشرق ... : الأستاذ محمد عطيه الإبراشي ١٥
- ١١ — أبو الغتاهية ... : « محمد أحمد برائق ... ١٥
- ١٢ — الراهبة المتوحشة ... : الدكتور عباس إبراهيم حسن ١٠
- ١٣ — المهد الذهبي ... : الأستاذ وهبي اسماعيل حقي ١٠
- ١٤ — صرخة في واد ... : الأستاذ محمود غنيم ... ٣٠
- ١٥ — الصحافة والصحف ... : المرحوم الأستاذ عبد الله حسين ٢٥
- ١٦ — ولّاده ... : الأستاذ علي عبد المظلم ... ١٥
- ١٧ — اللعب والعمل ... : الدكتور علي عبد الواحد وافي ٨

- ١٨ - من كل نبع قطرة ... : الأستاذ حسن محمد جوهر ٦
- ١٩ - عبد الله بن قيس الراقيات ... : الأستاذ علي النجدي ناصف ١٥
- ٢٠ - الاستعمار الفرنسي ... : الأستاذ أحمد رمزي ... ١٥
- ٢١ - الوزراء العباسيون ... : « محمد أحمد برانق ٢٠
- ٢٢ - سحر العطور ... : « أحمد علي الشحات ١٢
- ٢٣ - أ كسير الحياة ... : الدكتور محمود محمد سلامة ٢٠
- ٢٤ - دراسات في علم النفس الأدبي : الأستاذ حامد عبد القادر ٣٠
- ٢٥ - التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض :
- الأستاذ محمد رفعت أحمد بك ٥٠
- ٢٦ - مسلم بن الوليد ... : الأستاذ حسن علوان ... ٢٥
- ٢٧ - الإسلام والديمقراطية ... : معالي محمد علي علوبة باشا ٥
- ٢٨ - فقه اللغة ... : دكتور علي عبد الواحد وافي ٥٠
- ٢٩ - علم اللغة ... : دكتور علي عبد الواحد وافي ٥٠
- ٣٠ - كيمياء المعادن ... :
- دكتور محمود يوسف الشواربي ١٠٠
- ٣١ - طب الطبيعة ... : الأستاذ محمد عاطف البرقوقي
- ٣٢ - أحلام اليقظة ... : تأليف دكتور ج . ه . جرين
- ترجمة إبراهيم حافظ ...
- ومراجعة زكي المهندس بك ...
- ٣٣ - رفاة الطمطاوي بك ... : الأستاذ أحمد أحمد بدوي ...
- ٣٤ - فلسفة أبي العلاء ... : الأستاذ حامد عبد القادر ...